التجسيم في التعبير القرآني

م. د. عقيل عبد الزهرة مبدر
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المقدمة

يتناول هذا البحث موضوع (التجسيم في التعبير القرآني)، للكشف عن الصور التجسيمية، والوقوف عندها، ومن ثمَّ استنطاقها وبيان عناصر الجمال فيها، والأغراض التي سيقت لها.

واقتضت طبيعة البحث أن أبدأ . أولا . بتعريف (التجسيم)، لغة واصطلاحا، ثمَّ عرضت للصور التجسيمية التي وردت في الكتاب العزيز في ثلاثة مباحث، إذ انعقد المبحث الأول على (التجسيم العقلي). وخصِّص المبحث الثاني لـ(التجسيم النفسي). أما المبحث الثالث فقد انعقد على (تجسيم الزمان)، سواءٌ أكان هذا الزمان محدودا، كالساعة والليل والنهار واليوم والشهر والسنة، أم غير محدود، كالحين والدهر والأجل. ثمَّ جاءت (الخاتمة) لتعرض أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث.

أمّا مصادر البحث فقد تنوّعت بحكم القضايا التي تناولها، وكان على رأسها القرآن الكريم، وكتب إعجاز القرآن وعلومه، وكتب التفسير، ولاسيَّما التفاسير التي عنيت بالجانب البلاغي، كتفسير (الكشّاف) للزمخشري، و(مجمع البيان) للطبرْسي. ولأنَّ البحث يصبُّ في مجرى النقد والبلاغة فقد اعتمد على كثير من المصادر والمراجع النقدية والبلاغية، ولكنّ كثرة هذه الكتب وسعة رقعتها التاريخية ألزمت الباحث بانتقاء كتب بعينها لتكون أصولا، من دون إهمال غيرها، ولاسيَّما الكتب التي انفرد أصحابها برأي أو فكرة في أيَّة قضية من قضايا البحث.

التجسيم لغة واصطلاحا: تدلُّ مادة (جسم) على الظهور والبروز، تشهد بذلك معاجم

اللغة التي استقصت هذه المادة وما اشتق منها. فالتجسيم من الجسم، والجسم: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب إلى غير ذلك من الأنواع العظيمة الخلق. والجسم: الجسد، وجَسُم الشيء: عَظُمَ، فهو جسيم وجُسام، والجسيم: ما ارتفع من الأرض وعلاه الماء، والأجسم: الأضخم[١].

وبعد، فإنّي لا أريد . هنا . التجسيم بمعناه الفكري الذي قام على بعض التصورات الخاطئة في وصف الباري عزَّ وجل، إذ اعتقدت بعض الفرق المنقرضة، ومنها: المشبِّهة أو المجسِّمة بأنَّ لله تعالى يدا ووجها وعينا، إلى غير ذلك من جوارح أخر، أو أنَّ له جسما محدودا يمكن أن يستوي أو يجلس في مكان ما، بعد أن ابتعدوا عن الواقع اللغوي الذي ينتمي إليه النصُّ القرآني في تفسيرهم لبعض آي الذكر الحكيم، ومنها قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٥]، وإنَّما أريد به (التجسيم) بمعناه النقدي أو الفني الذي هو إضفاء الصفات الحسيِّة على المدركات المعنوية والذهنية والحالات النفسية، لإبرازها أجساما ومحسوسات[٦]، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[٧]، فجسَّم **الحقَّ** والباطل . وهما معنويان . وكأنَّ الحقَّ جسمٌ قاتل ينزلُ من مكانٍ عالٍ ليمحقَ الباطل ويودي به.

وكان أبو الفتح عثمان بن جنّي (392هـ) قد أشار إلى هذا النوع من التصوير في أثناء كلامه على الفرق بين الحقيقة والمجاز، إذ عدَّ التجسيم ضربا من أضرب (الاتساع في اللغة)، ممثلا له بقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨]، ذلك بأنَّ الله عزَّ وجل قد ((أخبر عن العرض بما يُخبر به عن الجوهر، وهذا تعالٍ بالعرض وتفخيم منه، إذ صُيِّر إلى حيِّز ما يُشاهد ويُلمس ويُعاين))[٩].

وأشار عبد القاهر الجرجاني (471هـ) إلى التجسيم أيضا، إذ عرض لخصائص الاستعارة قائلا: ((إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون))[١٠].

أما الراغب الأصبهاني (502هـ) فقد ذكر التجسيم في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)[١١]، إذ قال: ((وجعل الجوع والخوف لباسا على التجسيم والتشبيه تصويرا له وذلك بحسب ما يقولون: تدرَّع فلان بالفقر، ولبس الجوع...))[١٢].

هذا أهم ما جاء في كتابات القدامى عن (التجسيم)، وهو ما أكده المحدثون، إذ عدّوا (التجسيم) أسلوبا من أساليب التصوير الفني في البيان العربي عامة والقرآن الكريم خاصة، بل ذهب بعضهم إلى أنَّه الأسلوب المفضل في التصوير القرآني[١٣].

التجسيم في التعبير القرآني:

1. التجسيم العقلي: ويراد به تجسيم المعاني الذهنية التي تدرك بالعقل، بحيث تبدو أجساما تُدرك بالحسِّ، ومنها: (الشك) في قوله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ)[١٤]، فجسَّم الشك . وهو أمر عقلي .، إذ جعله ساحة للعب أولئك المشركين واستهزائهم بدين الله الحنيف ورسالة نبيه الأمين محمد Z، تصويرا لعظم شكِّهم من جهة، وتبيانا لخسارهم من جهة أخرى، ذلك بأنَّ اللاعب فيما ((لا يصحُّ اللعب فيه عابث، والعابث خاسر. ومثله قوله تعالى: (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[١٥]، وقوله تعالى: (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ)[١٦]، فأصل (الخوض) هو: المشي في الماء وتحريكه، ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه، والخوض في مال الله هو التصرف فيه بما لا يرضاه الله تعالى، والخوض من الكلام: ما فيه الكذب

والباطل[١٧]، لذا استعير (الخوض) للكذب على الله . عزَّ وجل ..

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسم (الخوض)، إذ جعله مكانا أو ساحة يلعب فيها المكذبون بآيات الله البينات، إذ كانوا ينتقصون منها ويستهزئون بها بغير علم، كالخائض في الماء يطأ بغير هدى أو بصيرة، لذا توعد الله تعالى هؤلاء المكذبين بالويل[١٨].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ لفظة (الخوض) . وما يُشتق منها . لم تستعمل في الكتاب العزيز إلا فيما هو خطأ أو باطل، في حين يخطئ كثير من المحدثين إذ يستعملونها فيما ليس بخطأ.

ومن التجسيم العقلي . أيضا . تجسيم (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[١٩]، فهذه الآية نزلت في عدد من المنافقين الذين خالفوا الرسول Z في الخروج إلى تبوك لجهاد الروم. وعلى الرغم من أنَّ المعاجم اللغوية تورد للفتنة معاني عدّة، بيد أنَّ المراد بها . هنا . الكفر والعصيان الذي سيؤدي بهؤلاء المنافقين إلى جهنم، بدلالة قوله تعالى . الذي ختمت به هذه الآية - : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، ليدلَّ على سوء مصيرهم، إذ جاء مُؤكدا بمُؤكِّدين هما: (إنَّ) و(اللام). وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسم (الفتنة)، إذ بدت لنا كأنَّها مكان يسقط فيه هؤلاء المنافقون[٢٠].

ويمكن أن يحمل هذا التعبير على التجوُّز بذكر السبب وإرادة المُسبَّب، على أنَّ هؤلاء المنافقين كانوا يبتغون الفتنة التي ستكون سببا في عذابهم، أي أنَّ الله عزَّ وجل قد عبّر بالفتنة عن العذاب الذي تسبَّب عنها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٢١]، أي: ذوقوا عذابكم [٢٢]، ذلك بأنَّ الفتنة هي السبب في عذاب هؤلاء المنافقين. وهذا الأسلوب من أساليب المجاز المرسل، إذ يُذكر السبب ويُراد به المسبَّب.

وثمة صورة تجسيمية عقلية أخرى تتمثل في تجسيم (الكيد)، في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[٢٣]، وقوله تعالى . في السورة نفسها .: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾[٢٤]، فالمراد بـ(الكيد): المكر والاستدراج، أو هو ضرب من الاحتيال والاجتهاد في معالجة الأمور، لذا سمِّيت الحرب كيدا ومكيدة[٢٥]. ويقول الراغب الأصبهاني في (المفردات): ((قد يكون الكيد مذموما وممدوحا وإن كان استعماله في المذموم أكثر)) [٢٦]. فهو. إذن . شيءٌ عقلي يُتوصل بظاهره إلى أمرٍ خفيٍّ، فلا يُوصف المرء به أو ينسب إليه إلا وهو يدبِّر أمرا بخفاء[٢٧]، في حين جسَّمه النصُّ القرآني إذ جعله شيئا قابلا للتجمع والوصف، تعبيرا عن ذلك الباطل المتراكم، على أنَّ فرعون لم يجمع (الكيد)، وإنَّما جمع السحرة لمنازلة موسى . عليه السلام . ، ولكنَّ (الكيد) كان عدَّتهم ووسيلتهم في هذه المنازلة، بعد أن اعتادوا على خداع الناس بسحرهم. ولما انتهى الأمر بخسارهم وبطلان كيدهم آمنوا بالله عزَّ وجل، إذ أدركوا الفارق بين ما هو وهمٌ وسحر وما هو حقيقة ومعجزة.

ويرسم لنا القرآن الكريم صورة تجسيمية أخرى لـ(الكيد)، يؤكد فيها أنَّ الاستدراج نوع من أنواع الكيد، وأنَّ الكيد يمكن أن يستعمل فيما هو ممدوح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[٢٨]، فيبدو لنا (الكيد) وكأنَّه حبلٌ أو شيء قوي أو شديد، إذ يصف الله عزَّ وجل كيده بأنَّه (متين)، استدراجا للكافرين، حين يجعلهم في سعةٍ ورغدٍ من العيش، ويُملي لهم ليزدادوا إثما، فيحسبون ذلك إنعاما عليهم، حتّى يأتيهم الهلاك أو العذاب بغتة، وهم في الغفلة سادرون[٢٩].

ومنه . أيضا . قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾[٣٠]، فالمراد بـ(الأمر) . هنا . : الكيد، وأصل الإبرام من: إبرام الحبل، وهو ترديد فتله، والمبرم: الذي يُلحُّ ويُشدِّد في الأمر تشبيها بمبرِم الحبل[٣١].

وهذا يعني أنَّ الكتاب العزيز قد جسَّم (الأمر) أو الكيد لبيان شدِّة وإحكام ما كان يدبره مشركو مكة من كيدٍ ومكرٍ برسول الله Z. وإذا كان المشركون قد (أبرموا أمرا) فإنَّ الله عزَّ وجل أراد أن يُشعرهم ببطلان كيدهم، مهما عظُم واستحكم، وأنَّه قد أعدَّ لهم من الكيد ما هو أشدُّ وأقوى، إذ عبَّر عن (أمرهم) أو كيدهم بصيغة الفعل الماضي (أبرموا)، في حين عبَّر عن (أمره) أو كيده بصيغة اسم الفاعل الذي يدلُّ على الثبات والاستمرار، كي يزرع اليأس والإحباط في نفوسهم، ويشتت أمرهم.

ويمكن أن يحمل على التجسيم العقلي كثيرا ممّا جاء في التعبير القرآني من المجاز العقلي، بعلاقته السببية، إذ تسند الأشياء إلى أسبابها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[٣٢]، فجسَّم (اليقين)، إذ أسند (الإتيان) إليه، لأنَّ اليقين ممّا يدرك بالعقل، وهو لا يأتي وإنّما يؤتى به.

ومثلما جسم الكتاب العزيز (اليقينَ) فقد جسَّم (الحقَّ)، إذ أسنده إلى سببه أيضا، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾[٣٣]، لأنَّ الحقَّ لا يجيء وإنما يُجاء به.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[٣٤]، فالمراد بـ(الهدى): البيان والرشاد بالكتاب العزيز والرسول الكريم Z[٣٥]، والبيان والرشاد ممّا يدركان بالعقل، وهما لا يجيئان وإنما يجاء بهما، لذا حمل هذا التعبير على التجسيم العقلي.

2. التجسيم النفسي: ويُراد به تجسيم المعاني النفسية، بحيث تبدو كأنَّها أجسام تدرك بالحس. ومن أمثلة هذا اللون من ألوان التصوير الفني في التعبير القرآني، قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[٣٦]، فهذه الآية نزلت في يهود بني قريضة، إذ حاصرهم المسلمون، حتّى أجهدهم الحصار، فخرجوا من

صياصيهم، أي من حصونهم، بعد أن ملأ الله عزَّوجل قلوبهم بالخوف من النبي محمد Z وأصحابه المؤمنين رضوان الله عليهم(٣٧).

من هنا نستطيع أن ندرك سرَّ الاستعمال القرآني للفعل (قذف) بدلا من (ألقى)، لأنَّ القذف يعني الرمي البعيد (٣٨)، وهو ما يتناسب مع طبيعة الموقف الذي تتحدث عنه هذه الآية، إذ كان اليهود متحصنين، لذا لا بدَّ من أن يُقذف الرعب في قلوبهم لا أن يُلقى.

وإذا ما علمنا بأنَّ (الرعب) لا يعني الخوف فحسب، وإنّما يعني الامتلاء من الخوف(٣٩)، فسيتبين لنا السرَّ البياني في استعمال (الرعب) بدلا من الخوف، لأنَّ الخوف وحده قد لا يكفي مع هؤلاء الكافرين، لذا لا بدَّ من أن تمتلئ قلوبهم بالخوف، كي يحلَّ ما حلَّ بهم من قتلٍ وأسر، بعد أن نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول اللهZ. وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسَّم (الرعب) أو الخوف، إذ جعله جسما حادّا يُقذف أو يُرمى من بعيد لينفذ إلى قلوب هؤلاء المنكرين للرسالة الإسلامية.

ومن التجسيم النفسي . أيضا . تجسيم (الصبر) في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾(٤٠)، فالصبر من المعاني النفسية، والعرب تقول: أفرغت الدلو، أي: صببتُ ما فيه، ومنه استعير: ((أفرغ علينا صبرا)) (٤١). وقد وردت هذه الاستعارة التجسيمية في موضعين، عبَّر بهما القرآن الكريم عن موقفين، احتاج في كليهما المؤمنون إلى أن يصبَّ الله عزَّ وجل عليهم الصبر صبا. فلما آمن سحرة فرعون بموسى . عليه السلام .، بعد ما رأوه من الآيات البينات، كان فرعون قد توعَّدهم بأن يقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلّبهم في جذوع النخل، على أنَّهم آمنوا بالله عزَّ وجل قبل أن يأذن لهم، إذ كان يرى أنَّه ربُّهم الأعلى، كفرا وطغيانا، لذا دعوا ربَّهم، ربَّ موسى وهارون، أن يلطف بهم، فيفرغ عليهم من الصبر ما يعينهم على تحمل ما سيصيبهم من العذاب ويثبّت إقدامهم، وكأنِّي بلسان حالهم يقول: ربَّنا أفرغ علينا كلَّ ما لديك من الصبر، وذلك لشدِّة وهول ما كان ينتظرهم من بلاء.

ومثل هذا يمكن أن يقال في طالوت وجنوده، بعد أن تخلّف المنافقون وتفرّق المتخاذلون عنهم، ولم يبقَ مع طالوت إلا فئة قليلة ليقاتلوا وينتصروا على جالوت وجنوده، وهم فئة كثيرة، لذا دعت هذه الفئة القليلة المؤمنة ربَّها بالدعاء ذاته الذي دعا به سحرة فرعون، إذ قالوا: ((ربنا أفرغ علينا صبرا))، كي لا يجزعوا ممّا يصيبهم وينتصروا على القوم الكافرين.

ومثلما أفرغ الله صبرا على المؤمنين من سحرة موسى وجنود طالوت، فقد أنزل سكينته على رسوله محمد والفئة القليلة من المؤمنين الذي ثبتوا معه في يوم حنين، فعُدَّ قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٢]، من صور التجسيم النفسي في التعبير القرآني، وذلك بدلالة الفعل (أنزل)، لأن (السكينة) ليس مما يُنزل أو يُنزَّل، فهي من المعاني النفسية التي يُراد بها: الرحمة والطمأنينة، أو هي كلُّ ما تسكن إليه النفس وتطمئن به فيزول الخوف معها [٤٣]. ولعلَّ في استعمال الفعل (أنزل) . من دون تشديد . ما يشير إلى إنزال هذه (السكينة) دفعة واحدة، لأن استعمال الفعل مشددا (نزَّل) يفيد . فيما يفيده . التدرّج في حدوث الفعل، في حين أن طبيعة الموقف الذي تتحدث عنه هذه الآية تقتضي أن يُنزل الله عزَّ وجل سكينته على الرسول ومن ثبت معه من المؤمنين دفعة واحدة، بعد أن فرَّ الناس في يوم حنين، ولم يبقَ مع الرسول إلا نفرٌ قليل من أهل بيته وأصحابه، فكان إنزال السكينة عونا داخليا للرسول ومن معه من المؤمنين، أي من داخل أنفسهم، في حين كان إنزال الجنود ليقاتلوا معهم عونا خارجيا، وذلك بدلالة قوله تعالى في الشطر الثاني من هذه الآية: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. وبهذا استطاع هؤلاء المؤمنون أن يثبتوا في تلك المعركة ويحققوا النصر على أعدائهم، برغم قلتهم بعد أن خذلهم من كانوا معهم.

ومن صور التجسيم النفسي . أيضا . تجسيم (الذلة والمسكنة) في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[٤٤]، تعبيرا عن مقدار الذل

الذي لحق باليهود الذين ((كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق))، أي أنَّ الذلَّ قد أحاط بهؤلاء الكافرين واشتمل عليهم، مثلما تشتمل القبة على أهلها وتحيط بهم، إذ تضرب عليهم، فهم . إذن . قوم صاغرون، أذلاء، بل هم مقيمون في الذلة، غير ظاعنين عنها، وقد باءوا بغضب الله عزَّوجل(٤٥).

وتعدُّ استعارة (الأوزار) للآثام والهموم من الصور البيانية الموحية والمؤثرة التي تقوم على التجسيم النفسي. فالمراد بـ(الوزر): الثقل، تشبيها بوزر الجبل، لذا عبّر القرآن الكريم عن الآثام والهموم بالأوزار، بجامع المشقة الناتجة عن أحدهما(٤٦).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾(٤٧)، أي:((وأزلنا عنك همومك التي أثقلتك من أذى الكفار، فشبَّه الهموم بالحمل، والعرب تجعل الهمَّ ثقلا))(٤٨).

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسَّم الهمَّ النفسي الذي يصيب الإنسان ويفوق ألمه (الوزر) أو الثقل الحسي الممثل به.

وتشير الدكتورة بنت الشاطئ إلى أنَّ ثمة علاقة بين هذه الآيات وقوله تعالى: ﴿ووجدك ضالا فهدى ﴾ . الذي ورد في سورة الضحى .، إذ تفسر (الضلال) بالحيرة وعدم الاهتداء إلى سواء السبيل . قبل البعثة النبوية الشريفة .، حتّى هدى الله تعالى نبيَّه ووضع عنه ذلك الوزر الذي بلغ من فداحة ثقله أن أنقض ظهره، لفرط ما كان يشعر به Z من وطأة الحيرة، وضلال السبيل إلى الحق الذي تطمئن به نفسه(٤٩).

أما التعبير بـ(الأوزار) عن الآثام، على سبيل التجسيم النفسي، فيتمثل في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾(٥٠)، ذلك بأنَّ المراد بـ(الأوزار) . هنا . : ذنوب وآثام أولئك الذين كذبوا بما وعد الله عزَّوجل من البعث والثواب والعقاب، ثمَّ ندموا على ما فاتهم في الحياة الدنيا، بعد أن جاءتهم

الساعة بغتة، وتبيّن لهم بطلان ما كانوا يدعون[٥١].

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسَّم الذنوب والآثام، إذ جعلها ممّا يحمل على الظهور، تشبيها لها بالأوزار أو الأثقال التي يحملها الإنسان على ظهره. وإذا كانت الأوزار أو الأثقال قد استعيرت للذنوب والآثام، بجامع المشقة، فإنَّ المشقة الجسدية التي تسببها هذه الأحمال أو الأثقال يمكن أن يضعها حاملها ويستريح منها، كلما أحسَّ بثقلها أو تعب من حملها. ولكنَّ المشقة النفسية التي تنتج عن الذنوب والآثام التي يقترفها الإنسان ولم يتب عنها أو يندم عليها في حياته، فإنَّه يبقى ينوء بحملها، ولا يستطيع أن يتخلص أو أن يستريح منها، إذ تبقى ترافقه وهو يواجه عرصات القيامة، حتى يقاد بها إلى جهنم.

من هنا نستطيع أن ندرك السرَّ البياني في استعمال هذه الاستعارة التجسيمية، إذ ترسم لنا أشخاصا يحملون أثقالا على ظهورهم، لا يملكون حرية وضعها أو الاستراحة منها، وهم في طريقهم إلى جهنم، وبهذا تتضاعف عليهم الشدائد النفسية، إذ يواجهون ما كانوا يكذبون به[٥٢].

3. تجسيم الزمان: الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره [٥٣]، ويطلق على مرور الليالي والأيام[٥٤].

وهناك من فرَّق بين (الزمان والزمن)، على أنَّ الزمن يدلُّ على وقت محدود من الزمان، أو وقت من الوقت من ذلك الزمان، وهو الحين[٥٥].

أما النصُّ القرآني فلم ترد فيه لفظتا (الزمان والزمن)، وإنّما عبر عنهما بما يدلُّ عليهما، مثل: الساعة، واليوم، والشهر، والسنة، والحين، والدهر، أو الليل والنهار، إلى غير ذلك من ألفاظ الزمان التي أختصَّ كلٌّ منها بمعنى معين، وإن بدا أنَّ بعض هذه الألفاظ ذات معانٍ مترادفة أو متقاربة.

ويعدّ تجسيم الزمان ضربا من ضروب التصوير الفني في العربية عامّة والتعبير القرآني خاصّة، إذ يتحول الزمان، بمختلف أنواعه وأجزائه، إلى مُدركٍ حسِّي،

بعد إضفاء صفة من صفات الحسِّ عليه، فيبدو وكأنَّه جسم يتحرك أو يتنقل، أو يكون ذا هيأة أو وزن أو لون، فيوصف . مثلا . بالثقل، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾(٥٦).

تجسيم (الساعة): الساعة جزء من أجزاء الزمان، والليل والنهار معا أربع وعشرون ساعة، وإذا اعتدلا فكلٌّ واحد منهما اثنتا عشرة ساعة. وقد تطلق (الساعة) ويُراد بها: الوقت الحاضر، فيقال: أزورك الساعة، أي: الآن، أو يُراد بها: جزء قليلٌ من الليل أو النهار، مثلما تقول: جلستُ عندك ساعة من النهار، أي وقتا قليلا منه (٥٧)، ومثالها . حين تدلُّ على جزءٍ من أجزاء الزمان . قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ (٥٨)، أي: وقت العسرة، إذ خرج المسلمون إلى تبوك لغزو الروم، في وقتٍ شديد الحر، كانوا فيه في قلة من الظهر، يعتقب العشرة على بعيرٍ واحد، وفي قلة من الزاد، وفي شحّة من الماء...، وقد تخلف بعضُهم عن الخروج مع الرسول Z ، وهمَّ فريقٌ منهم بالرجوع إلى المدينة. وبهذا يكون الكتاب العزيز قد عبَّر بالساعة عن مطلق ذلك الوقت العسير، على أنَّ الساعة يمكن أن تطلق على كلِّ زمان(٥٩).

ووردت لفظة (الساعة) في القرآن الكريم في ثمانية وأربعين موضعا، فجاءت معرَّفة بـ(الألف واللام) في أربعين موضعا، إذ قُصدَ بها (ساعة الآخرة)، أو(يوم القيامة)، في حين جاءت نكرةً في ثمانية مواضع، لتدلَّ على جزء من الزمان، سواءٌ أكان هذا الزمان محدودا أم غير محدود.

أمّا تسمية يوم القيامة أو اليوم الآخر بـ(الساعة) فربما يرجع إلى وقوعها بغتة . وهذا ما أشار إليه الكتاب العزيز في مواضع عدِّة . (٦٠)، أو لسرعة الحساب في ذلك اليوم العظيم، أو لأنَّها عند الله عزَّ وجل كأيَّة ساعةٍ من الساعات، على طولها عند

الخلق، أو جريا على عادة العرب في استعظام ما يقع في زمان معين، إذ يكتفون بذكر ذلك الزمان في الدلالة عليه، لما يجري فيه من أحداث وأهوال...[٦١].

وقد ظلَّ زمن قيام (الساعة) وحدوثها مجهولاً في جميع الآيات التي تحدثت عنها، على أنَّها ليست كبقية الساعات فحسب، وإنَّما تنفرّدُ، من دون ساعات الزمان كله، بأنَّها الساعة الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظاما الزمان والمكان.

ويتخذ القرآن الكريم من التجسيم الفني سبيلا لبيان خطرها وعظم ما يجري فيها من أحداث وأهوال، إذ يُسنِد إليها الإتيان، والقيام، دلالة على بروزها وشخوصها وفاعليتها[٦٢]، مثلما جاء في قوله تعالى:﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٦٣]، ففي هذه الآيات يجسّم الكتاب العزيز (الساعة)، إذ يجعلها (تأتي) تارة و(تقوم) تارة أخرى، أو يجعلها سفينة تجري في عرض البحر، لا يُعرف زمن استقرارها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٤]، فـ(أيَّانَ) يُسألُ بها عن وقت حدوث الشيء، بما يقارب معنى (متى)، بيدَ أنَّ (أيّان) تستعمل في موضع التفخيم والتبعيد، أي أنَّ استعمال (أيَّانَ) يوحي باستبعاد حدوث (الساعة) وإنكارها من المنكرين لها، وهو ما يفسِّر لنا تخصُّص هذه الأداة في الاستفهام عن الزمان الغيبي في التعبير القرآني[٦٥].

أما السؤال بصيغة المضارع (يَسألونك) فيدلُّ على كثرة السؤال وتكراره من لدن المنكرين لقيام الساعة، لذا ردَّ عليهم الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ

﴿ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾[٦٦]، مخبرا بذلك عن حقيقة لا ريبَ فيها، هي أنَّ الساعة آتيةٌ، ولا علمَ لأحدٍ بها إلا الله، كأنَّها قد أخفيت بغطاء، (لا يُجلِّيها)، أي لا يُظهرها أو يكشف عنها في وقتها إلا هو عزَّ وجل، زيادة في التهويل والتخويف ممّا يحدث فيها، بما يحمل الناس على الإيمان بما أنزل الله عزَّ وجل من الآيات البينات، ويزجرهم عن المعاصي، لأنَّ من طبيعة النفس الإنسانية الخوف من المجهول، لذا استأثر الله تعالى بعلم (الساعة) إلى الحدِّ الذي صرف الرسول ﷺ عن الاشتغال بها، لتبقى تحمل رهبة المجهول ووقع المباغتة [٦٧]، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾[٦٨]، بل إلى الحدِّ الذي يكاد الله أن يخفيها عن ذاته عزَّ وجل ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[٦٩]، جريا على عادة العرب في كلامهم، إذ يبالغون في كتمان السرِّ فيقول أحدُهم: كتمته عن نفسي[٧٠].

ويستعير الكتاب العزيز (الثقل) للساعة . في الآية ذاتها التي نحن بشأن الحديث عنها . ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ ، على سبيل التجسيم الفني لهذا الزمن الغيبي أيضا، فتزداد هذه (الساعة) ضخامة ورهبة...

ولنا أن نتخيَّل حال البشر في (ساعة)، لا تطيقُ السموات والأرض حملها أو احتمال ما يجري فيها، إذ تُكوَّر الشمس وتُسيَّر الجبال وتُعطَّل العشار وتُحشر الوحوش وتُسجَّر البحار....، وما يمكن أن تحدثه مثل هذه الأحداث الجسام والأهوال العظام من تأثير في النفوس، وبخاصة حين تقترن بعنصر المباغتة الذي من شأنه أن يزيد من وقعها وشدة تأثيرها، إذ ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٧١].

لذا دعا القرآن الكريم الناس إلى أن يتقوا ربَّهم على أنَّ ﴿ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ ﴾[٧٢]، فالزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، وزُلزلت الأرض: إذا حُرِّكت حركة شديدة، وتستعمل . أيضا . كناية عن التخويف والتحذير، وزُلزل القوم: خُوِّفوا وحُذِّروا، والزلازل: الشدائد والأهوال...[٧٣]. لذا إنَّ إسناد الزلزلة إلى (الساعة) يُعدُّ تجسيما لهذا الزمن الغيبي، على أنَّ الزمان . من حيثُ هو زمان، ومهما كان نوعه . لا يُزلزل الأشياء، وإنَّما الذي يزلزلها ما يجري فيه من أهوال. ويمكن أن يُحمل مثل هذا التعبير على سبيل المجاز العقلي بعلاقته الزمانية، إذ يُذكر الزمان ويُراد ما يجري فيه من أحداث، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[٧٤]، فقد أسند الفعل (تتّقون) إلى (اليوم)، وهو إسنادٌ غير حقيقي، لأنَّ ما يحدث من أهوال في (يوم القيامة) هو الذي يجعل الولدان شيبا وليس اليوم ذاته، أي أنَّ الحقيقية تقتضي أن يقال: فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل هولُه الولدان شيبا[٧٥].

وهنا يبدو لنا هذا الزمن الغيبي أو(الساعة) وكأنَّه قد ألبس بحدثه، حتى صار الحدثَ ذاته، على سبيل التجسيم، لتقوية الصلة بينهما، أي بين الوقت والحدث، مثلما مرَّ بنا، إذ أسند (المجيء) و(الإتيان) و(القيام) إلى(الساعة)، بل ربما أمعن القرآن الكريم في تناسي ظرفية الساعة، فأخبر عنها بصيغة المذكر، بوصفها الحدث نفسه، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[٧٦]، فالقرب نقيض البعد، ومن قرب فقد دنا [٧٧]. وفي الإخبار عن الساعة بأنَّها (قريبٌ) تجسيم لها، إذ تبدو كأنَّها جسمٌ يتحرك، فيدنو ويقترب، ليعلن بداية النهاية، وبدء الحساب، بما فيه من ثواب وعقاب. أمّا استعمال (لعلَّ) . هنا . فيوحي بقرب وقوع ما هو محذور[٧٨].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ الكتاب العزيز لم يستعمل (الفجأة) مع قيام الساعة، وإنَّما استعمل (البغتة)، لأنَّ الفجأة قد تحمل معها السعادة، في حين لا تحمل البغتة إلا الخوف والألم.

تجسيم (الليل والنهار): لا ريبَ في أنَّ ظاهرة (الليل والنهار) تُعدُّ من الظواهر الطبيعية المحسوسة. وعلى الرغم من اختلاف الليل والنهار فقد صارا مألوفين، وذلك لتكرار حدوثهما وكثرة ورودهما. وفي حدوثهما . على هذا النحو الذي نراه . ما يدلُّ على دقة خلقهما وتعاقبهما، وهو ما عبّر عنه الكتاب العزيز، بطريقة التجسيم الفني، في قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٧٩]، فجسَّم (الليل والنهار)، إذ جعل أحدهما يلج في الآخر.

ومن اللافت للنظر أنَّ الكتاب العزيز لم يعبر عن تعاقب (الليل والنهار) ودخول أحدهما في الآخر بالفعل (تُدخل)، وإنّما عبَّر عنه بالفعل (تولج)، للدلالة على أنَّ هذا الدخول يحدث على نحو تدريجي، لأن المراد بـ(الولوج): الدخول في مضيق [٨٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٨١]، فلم يقل: حتى يدخل، وإنّما قال (حتى يلج)، لتصوير استحالة دخول الكفار إلى الجنة إلا إذا دخل الجمل، على ضخامة جثته، في ثقب الإبرة، على ضيقه وصغره، لأنَّ العرب إذا أرادت تأكيد النفي علقته بما يستحيل وقوعه، فيقولون: لا نفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى تتفطر السماء، وحتى تأتي الشمس من المغرب. .[٨٢]. فضلا عن هذا فإنَّ في استعمال الفعل (تولج)، بصيغة المضارع، ما يدلُّ . أيضا . على دوام واستمرار وتجدُّد هذا التعاقب بين الليل والنهار.

ثمَّ أنَّ الكتاب العزيز قدَّم الليل على النهار في جميع الآيات التي اقترن فيها ذكر الليل بالنهار، على أنَّ الليل يمثل الظلمات في حين يعبّر النهار عن النور، والظلمات عدم والنور وجود، والعدم قبل الوجود، والله أعلم [٨٣]، وأنَّ هذا الطباق الذي بين: الولوج والخروج، والليل والنهار من جهة، والحياة والموت من جهة أخرى، قد أسبغ لونا آخر من ألوان الإيحاء والتأثير على هذه الصورة، ليدلَّ على أنَّ من له

القدرة على الجمع بين هذه الأضداد، بما يحفظ التوازن في هذا الكون، لقادرٌ على أن ((يرزق من يشاء بغير حساب))، فيتحقق التناسب البياني بين مطلع هذه الآية وخاتمتها، لتحقق هذه الصورة غرضيها: الفني والديني في أوان واحد.

ومن صور التجسيم الفني لليل والنهار . أيضا . قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[٨٤]، فالمراد بـ(التقليب): تحويل الشيء عن وجهه، أو صرفه عن وجه إلى وجه. وسمِّي قلب الإنسان قلبا لكثرة تقلبه. وتقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال، وقد استعير (التقليب) لتدبير الأمور والنظر فيها[٨٥].

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسّم (الليل والنهار)، إذ عبّر عن اختلافهما وتعاقبهما بـ(التقليب)، وكأنَّهما جسم له وجهان أو جانبان، يختلف أحدهما عن الآخر، فيُظهر الله عزَّ وجل هذا تارة ويُظهر ذاك تارة أخرى، على هذا النحو الدقيق الذي يدعو ذوي العقول إلى التأمل في خلق هذا الكون والتدبر فيه.

واستعمال (التقليب) . هنا . يوحي بعدم ثبات حال الدنيا وحال الإنسان فيها، فالأحوال تتقلب، بل قد تقلب رأسا على عقب، وفي هذا عبرة لأولي الألباب، إذ نبّه الله عزَّ وجل الناس على أنَّه يقلب أحوالهم مثلما يقلب الليل والنهار، فلا تبتئسوا أيها الفقراء والمستضعفون ولا تغتروا أيها الطغاة والمتكبرون...

أما اسم الإشارة (ذلك) فيدلُّ على عظم المشار إليه، لأنَّ من شأن الإشارة أن تكون للأشياء المحسوسة، وإذا ما أشير إلى ما هو معنوي أو عقلي فإنَّ ذلك يكون لبيان خطر المعنى المشار إليه وأهميته.

ويرسم لنا الكتاب العزيز صورة أخرى من صور التجسيم الفني لـ(الليل والنهار)، إذ يعبّر عن خروج النهار من الليل بـ(السلخ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[٨٦]، أي أنَّ النهار ينتزع من الليل انتزاعا ويُسلخ عنه، مثلما يُكشط الجلد عن الشاة [٨٧]. وفي هذا ما يدلُّ على التصاق الليل بالنهار وتداخلهما، بل والتحام أحدهما بالآخر، وكأنَّ الليل شاةٌ قد سُلخ عنها جلدها الذي هو النهار، ذلك بأنَّ هوادي الصبح عند طلوعه تكون كالملتحمة بأعجاز الليل، لذا أجرى عليها أسم السلخ، فكان استعمال الفعل (نسلخ) أفصح ممّا لو قال: نُخرج، لأنَّ السلخ أدلُّ على الالتحام المتوهم فيها من الإخراج[٨٨].

وتوحي هذه الصورة التجسيمية . أيضا . بالتناسب البياني بين الليل والنهار من جهة والموت والحياة من جهة أخرى، ذلك بأنَّ الشاة التي يُسلخ عنها جلدها تكون قد فارقت الحياة، كذلك الحال في الليل إذ يُسلخ منه النهار ويرخي سدوله، ، فيسكن فيه كلُّ شيء، حتى يُخيَّلَ إليك وكأنَّه ضربٌ من الموت، ثمَّ يأتي النهار فتدبُّ الحياة، إذ ينتشر فيه الناس. وهو ما عبَّر عنه القرآن الكريم . في صورة بيانية أخرى من صور التجسيم الفني لليل والنهار . بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾[٨٩]، فاللباس ما يُلبس من الثوب، فيشتمل على الجسم ويحيط به. أما السبات فيراد به: ((الانقطاع عن الناس والحركة والعمل، أي: وجعلنا نومكم راحة لكم. والنشر من: نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث: إذا بسطها وهو ضدُّ الطيِّ. وجعل النهار نشورا، أي: جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق[٩٠].

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسّم (الليل)، إذ شبّهه باللباس الساتر، لأنَّ الناس يستترون به مثلما يستترون بالثياب التي يلبسونها [٩١]، ومن ثمَّ يخلدون إلى النوم الذي جعله سباتا، وهو ضربٌ من الموت، إذ يسبت أو ينقطع فيه الناس عن الحركة والعمل، ثمَّ يأتي النهار فتدبُّ الحياة، إذ ينتشر فيه الناس....

إذن فالليل سكون وراحة والنهار حركة وعمل. وفي هذا التقابل الذي بين الليل والنوم من جهة والنهار والحركة من جهة أخرى ما يدلُّ على الموت والحياة، إذ

يُحيي الله عزَّ وجل الناس ويبعثهم بعد موتهم.

وثمة صورةٌ بيانية أخرى من صور التجسيم الفني لـ(الليل والنهار)، تتمثل في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[٩٢]، فالتكوير: اللفُّ والطيُّ، وأصله من تكوير العمامة، أي: لفُّها وجمعها. وكوِّرت الشمس: جمُع ضوؤها ولُفَّ كما تلفُّ العمامة. وتكوير الليل والنهار: تغشية أو إدخالُ كلٍّ واحدٍ منهما في صاحبه[٩٣].

وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسَّم كلا من الليل والنهار إذ جعلهما قطعتي قماش تلفُّ إحداهما على الأخرى بالتناوب، مثلما تلفُّ العمامة بالتتابع، فكلما لُفَّ جزءٌ غطّى الآخر باللفِّ حتى يغيبَ عن البصر [٩٤]، فضلا عمّا يوحي به التكوير من حركة سريعة في أثناء اللفِّ أو الطيِّ وشمول المغطّى وإحاطته، بحيث يعلو عليه ويغيِّبُه[٩٥].

من هنا تتبيّن لنا أهمية التجسيم، أسلوبا من أساليب التصوير الفني في التعبير القرآني، إذ ردَّ الكتاب العزيز على الكفار . الذين اتخذوا أولياء من دون الله عزَّ وجل وجعلوا له ولدا . بأسلوب التجسيم الفني لليل والنهار، على أنَّهما يمثلان ظاهرة من الظواهر الطبيعية المحسوسة التي تدلُّ على قدرة الله الواحد الأحد على خلق الكون، على وفق هذا النظام الدقيق المعجز. وهذا ما حمل بعض النقاد المحدثين على أن يعدُّوا التجسيم الأسلوب المفضَّل من أساليب التصوير البياني في التعبير القرآني[٩٦].

وعلى الرغم من أنَّ ذكر الليل قد اقترن بذكر النهار في معظم آي الذكر الحكيم، على أنَّ النعمة لا تتمُّ بأحدهما، وأنَّ تعاقبهما على هذا النحو وعدم تطاول أحدهما إلى الأبد يمثل صورة من صور الإعجاز الإلهي في خلق هذا الكون وتدبيره، فقد يقتضي المقام ذكر أحدهما، من دون الآخر، مثلما هي الحال في تجسيم الليل، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ

مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٩٧]، ففي هذه الآية الكريمة صورة تشبيهية تجسيمية من صور التجسيم الحسّي لـ(الليل)، ترسم لنا مشهدا آخر من مشاهد الهول التي تجري على الكفار في يوم القيامة، يتمثل في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾، أي: كأنَّما ألبست وجوههم قطعا من الليل المظلم [٩٨]. والليل لا يكون إلا مظلما، بيد أنَّه وُصف . هنا . بالمظلم دلالة على شدّة ظلمته، مثلما يقال: ليل أليل وظلٌّ ظليل[٩٩]. وفي هذا يقول سيد قطب: فهذا السواد ليس لونا ولا صبغة، وإنَّما هو قطعٌ من الليل المظلم قد غشَّت وجوه هؤلاء الكفار [١٠٠]. فجسَّم الكتاب العزيز (الليل)، إذ جعله قطعا، أي أجزاءً، وكأنَّ هذا الليل الدامس البهيم قد تشظّى قطعا تغطّي وجوه أصحاب النار.

من هنا نستطيع أن نتبيّن مقدار الخزي والهوان والذلة والخسران الذي يلحق بهؤلاء الكفار في يوم الفزع الأكبر، إذ يُعرضون على هذا النحو ولا يجدون ما يعصمهم من الله عزَّ وجل.

ومن تجسيم (النهار)، منفردا، من دون أن يسبق بذكر الليل، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١٠١]، فالمراد بـ(الوجه): المحيّا، وهو مستقبل كلِّ شيء، ووجوه القوم: أشرافهم، فيقال: وجوه البلد ويراد بذلك: أعيانهم وسادتهم. ولأنَّ الوجه أولُّ ما يستقبلك وأشرف ما في ظاهر البدن، فقد عُبّر به عن الذات، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾[١٠٤]. ووجه النهار: صدرُ النهار أو أوله، ومنه قول الربيع بن زياد في رثاء مالك بن زهير

العبسي:(الكامل)

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأتِ نسوتنا بوجه نهار [١٠٥]

أي أنَّ الكتاب العزيز قد جسَّم النهار، إذ جعل لهذا الزمن وجها يُفصح عن نفاق هؤلاء اليهود، على أنَّ كلَّ ما يدور في الذهن والنفس يظهر على الوجه.

وكان اثنا عشر رجلا من أحبار اليهود قد تواطأوا، إذ قال بعضهم لبعض: ندخل في دين محمد . باللسان لا بالجنان . أولَّ النهار ونكفر به في آخره، ثمَّ نقول للمسلمين:إنَّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا على غير ما يقول، وهو ليس بالنبي المنعوت أو الموعود، فظهر لنا كذبه وبطلان دعوته...، كي يزرعوا الشك في نفوس المسلمين، لعلهم يرجعون عن دينهم، على أنَّ اليهود أهلُ كتاب وهم أعلمُ بهذا الأمر، وأنَّهم لا يرجعون عن أمرٍ إلا من بعد أن يتبيَّن لهم بطلانه... [١٠٦].

تجسيم (اليوم): يُراد بـ(اليوم): الوقت الذي يمتدُّ من طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يُعبّر به عن مدَّةٍ من الزمان، أيَّة مدَّة كانت، مثلما جاء في قوله تعالى:﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾[١٠٧]، أي: وذكرهم بالأيام التي أنعم الله عزَّ وجل فيها على المؤمنين والأيام التي انتقم فيها من الكافرين. وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** ﴾[١٠٨]. وحين تقول العرب:اليومَ اليومَ، فإنَّها لا تريد يوما بعينه، وإنَّما تريد بذلك الوقت الحاضر(١٠٩). ومنه قوله تعالى:﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[١١٠]، ولا يرادُ بكلٍّ منهما يوما بعينه، وإنَّما أريد بهما الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنتَ بالأمس شابا وأنت اليومَ أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم

يومك، وقيل: أريد بـ(اليوم) . في هذه الآية . : يوم عرفة من عام حجّة الوداع، والله أعلم(١١١).

وتعدُّ لفظة (اليوم) من ألفاظ التناسب الإحصائي في التعبير القرآني، إذ تكررت(366) ثلاثمائة وستا وستين مرة، بعدد أيام السنة، مقترنا بـ(القيامة) في سبعين منها، مشخَّصا تارة ومجسَّما تارة أخرى.

ومن صور التجسيم الفني لـ(اليوم) . في الكتاب العزيز . قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾(١١٢)، أي أنَّ الكفار يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبأون باليوم الآخر، وقد استعير (الثقل) لليوم لشدائده وأهواله (١١٣). وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسّم (اليوم)، إذ جعله جسما ذا كثافة ووزن، بعد أن وصفه بصفة ما يحلُّ فيه.

وقد يوصف(اليوم الآخر) بأوصاف حسيّة أخر، على سبيل التجسيم أيضا، إذ يتحول إلى جسم (كبير) تارة و(محيط) تارة أخرى، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾(١١٤)، وقوله تعالى:﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾(١١٥)، فالزمان لا يكبر أو يصغر ولا يحيط بالأشياء، وإذا ما وصف (اليوم الآخر) بأنَّه (كبير) أو (محيط) فلعِظَم ما يجري فيه من أحداث، وشدَّة ما يقع على الكافرين من عذاب، وهو أبلغ وأوقع في النفوس من أن يوصف العذاب نفسه بالكبر أو الإحاطة، على أنَّ الزمان، أيَّ زمان، سواءٌ أكان محدودا أم غير محدود، حاضرا أو غيبيا، يشتمل على ما يجري فيه من أحداث. ولعلَّ من اللافت للنظر أنَّ الفعل (أحاط) . وما اشتق منه . لم يرد في القرآن الكريم إلا في مواضع الشرِّ والعذاب، فضلا عن أنَّ مجيء لفظة (محيط) نكرة

من شأنه أن يزيد من هول عذاب (يوم القيامة)، على أنَّ التنكير يفيد العموم، أي أنَّ العذاب في ذلك اليوم العصيب سيشمل جميع الكافرين ويحيق بهم...[١١٦].

ووصف(اليوم) بـ(العصيب) على لسان لوط . عليه السلام . إذ جاءته رسلُ ربه، وخاف عليهم من قومه، لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الهيأة، من قبل أن يخبروه بأنَّهم رسلُ ربه إليه، إذ كان قومه يسارعون إلى أمثالهم بالفاحشة [١١٧]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[١١٨]، فأصلُ العصب: الطيُّ الشديد، والأعصاب: أطناب المفاصل، وقد سمّيت العمامة بالعصابة لأنَّها تُشدُّ بالرأس وتُلوى عليه [١١٩]. ومنه استعير(العصيب) للزمان عامّة، والأيام خاصّة، للدلالة على شدَّة بلائها، وكأنَّ الشرَّ قد جُمع فيها والتفَّ بعضه ببعض. وبهذا يكون الكتاب العزيز قد جسَّم اليوم، إذ وصفه بصفة ما يجري أو يحلُّ فيه وهو وصفٌ لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وذلك لبيان شدَّة الحرج والألم والهمِّ الذي كان يشعر به لوط . عليه السلام . في ذلك اليوم، خوفا من أن يُخزيَه قومه في أضيافه[١٢٠].

وعلى هذا يُحمل قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾[١٢١]، فالعصف هو: ورق الزرع الذي جفَّ ويبس وتفتّت، ومن ثمَّ صار تبنا فتأكله الدواب، أو أنَّه حطامُ النبت المتكسِّر. والرياح أو الريح العاصف أو العاصفة هي: الريح الشديدة الهبوب[١٢٢].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل(الريح) إلا في مواضع الشرِّ والعقوبات، في حين استعمل (الرياح) في مواضع الخير والرحمة.

وقد حُمل إسناد العصف إلى (اليوم) على المجاز، من باب وصف الشيء بصفة ما يجري فيه، على أنَّ (اليوم) أو الزمن، أيَّ زمن، لا يعصف بالرماد، وإنَّما الريح هي التي تعصف به.

من هنا شبهت أعمال الكفار ((برماد اشتدت به الريح في يوم عاصف))، على سبيل التجسيم لهذا الزمن، والوجه الجامع بينهما عدم الانتفاع بكلٍّ منهما، مثلما لا ينتفع بالنبات إذا ما يبس وديس وتفتت، حتّى صار رمادا، ومن ثمَّ ((اشتدت به الريح في يوم عاصف))، كذلك لا ينتفع الكفار بأعمالهم. لذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى:﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾، ليزرع اليأس في نفوس الكفار من أن ينتفعوا بأعمالهم، وإن خُيِّل إليهم أنَّ بإمكانهم أن ينتفعوا بما في الحياة الدنيا، من صلةٍ للأرحام وعتقٍ للرقاب وفداء للأسرى وقرى للضيوف وإغاثة الملهوف ...، فهذه الأعمال، وإن كانت من أعمال البرِّ والإحسان، فإنَّها ضائعة مضيَّعة ما لم تقترن بالإيمان. وهذا ما أكده القرآن الكريم في مواضع كثيرة، إذ قرن بين الإيمان والعمل الصالح. لذا ليس للكفار أن يكسبوا شيئا ممّا قدموا، مثلما ليس لأحدٍ أن يكسب شيئا من الرماد الذي تذروه الرياح.

ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بالحوار الذي جرى بين المسلمين عامّة والإمام علي . عليه السلام . خاصّة من جهة والعباس بن عبد المطلب من جهة أخرى، بعد أن أُسرَ العباس يوم بدر، فأقبل عليه المسلمون وعيَّروه بكفره وقطيعة الرحم، وقد أغلظ له الإمام علي . عليه السلام . في القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا، فقال له الإمام: وهل لكم من محاسن؟، قال العباس: نعم، إنا لنعْمرُ المسجد الحرام ونحجبُ الكعبة ونسقي الحاج ونفكُّ العاني...، فنزل قوله تعالى:﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٢٣]، على أنَّ قبول الصالحات من الأعمال رهنٌ بالإيمان بالله واليوم الآخر[١٢٤] .

وعلى الرغم من أنَّ مشهد ((الرماد الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف)) يعدُّ من المشاهد المألوفة في البيئة العربية، ولاسيَّما وقت المبعث، بيد أنَّه من المشاهد التي يكرهها العربي، إذ يزرع في نفسه الإحباط والشعور بالخيبة، بعد أن يحمل إليه الجدب والقحط والحرمان، في بيئة شحَّ ماؤها وقلَّ زرعها، حتّى أنَّ العرب سمَّت العام الذي أصاب الناس فيه قحطٌ بـ(عام الرمادة)، إذ كانت الأرض تسفي ترابا كالرماد لشدة يبس الأرض(١٢٥).

من هنا نستطيع أن ندرك الأسرار البيانية في استعمال هذه الصورة التشبيهية التجسيمية الحسيّة البصرية المركبة التي حققت أغراضها: الفنية والنفسية والدينية في أوانٍ واحد، وهو ما لا يتحقق بالتعبير المجرّد، إذ يتحوّل الزمان (اليوم) إلى جسم يعصف بأعمال الكافرين، مثلما تأتي الرياح على الرماد فتجعله هباءً منثورا(١٢٦).

تجسيم الشهر:

الشهر: الهلال أو القمر، وقد سمِّي بذلك لشهرته وظهوره، لذا أطلق(الشهر) على العدد المعروف من الأيام أو المدّة المشهورة بإهلال الهلال، جزءا من اثني عشر جزءا، من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة، إذ يُشهر بالقمر وفيه علامة ابتدائه وانتهائه. والعرب تقول: رأيت الشهر، أي: رأيت هلاله، وأشهر القوم: أتى عليم الشهر، وأشهرت المرأة إذا دخلت الشهر الذي تضع فيه(١٢٧).

وقد جسّم الكتاب العزيز(الشهر)، إذ وصفه بصفة ما يجري فيه من قتال، وذلك في قوله تعالى:﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١٢٨).

والأشهرُ الحرمُ أربعةٌ، ثلاثةٌ منها سرد، أي متتابعة وهي: ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم، وواحدٌ فرد، وهو رجب، حتّى لو أنَّ رجلا لقي فيها قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء. والمراد بـ(الشهر الحرام) . في هذه الآية . : ذو القعدة، وهو

شهرُ الصدِّ عامَ الحديبية.

ولأنَّ (الشهر) يدلُّ على زمن محدّد، فإنَّ وصفه بـ(الحرام) ليس بحرام، وإنَّما الحرام هو ما يجري فيه من قتال، أي أنَّ الشهر قد وصف بصفة ما يجري فيه مجازا، من باب تسمية الشيء باسم ما يحلُّ فيه. وكان بعض البلاغيين قد أطلقوا على هذا التكرار للتركيب الوصفي (الشهر الحرام بالشهر الحرام)، مصطلح (اللفظ بالمجاورة)، إذ تتكرّر لفظتان أو عبارتان، وتجاور كلٌّ منهما الأولى، أو أن تقع بالقرب منها، من دون أن تكون إحداهما لغوا لا يحتاج إليه [١٢٩]. وهذا أسلوب من الأساليب البلاغية التي تقوم على الإيجاز والمقابلة، وكأنَّ الله عزَّ وجل أراد أن يقول للمسلمين: هذا الشهر بذاك الشهر، وهتكه بهتكه، أي أنَّ لكم أن تهتكوا حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم في السنة الماضية، إذ صدُّوكم عن دخول الحرم وأداء مناسك الحج، لذا عقَّب بقوله تعالى:﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾.

إذن فالمشركون هم الذين بدأوا بالاعتداء عليكم، لذا لكم أن تقتصّوا منهم وأن تعتدوا عليهم، حتى وإن وقع ذلك في الشهر الحرام، لأنَّ هذا الشهر بذاك الشهر، على أن لا تتجاوزوا إلى ما لا يحلُّ لكم، لذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١٣٠].

ومثلما استعير (السلخ) لانتزاع أو خروج النهار من الليل، في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾[١٣١]، لشدَّة التصاق أحدهما بالآخر وتداخلهما، فقد استعير (الانسلاخ) للتعبير عن انقضاء مدَّة الأشهر الحرم، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[١٣٢] ،

على أنَّ المراد بـ(السلخ) أو (الانسلاخ): خروج الشيء ممّا لابسه، وأصله من سلخ الشاة، إذا ما انتزع جلدها(١٣٣) . من هنا يتبين لنا فضل هذه الاستعارة التجسيمية على الحقيقة، إذ يبدو لنا الزمن أو (الأشهر الحرم) كأنَّها لباس يرتديه المؤمنون إذا ما دخلوا فيها، ومن ثمَّ ينزع عنهم هذا اللباس إذا خرجوا منها، أو انقضت مدَّتُها، على أنَّ دماء المشركين رهنٌ بانقضاء الأشهر الحرم، فإذا ما خلت هذه الأشهر أو انقضت استبيحت دماؤهم، حيثما حلوا وأينما نزلوا[١٣٤] .

تجسيم السنة: السنة واحدة السنين، والفرق بينها وبين العام والحول هو أنَّ السنة من أوّل يومٍ عددته إلى مثله، أمّا العام أو الحول فلا يكون إلا شتاء وصيفا[١٣٥].

وقد جسَّم الكتاب العزيز (السنين) إذ وصفها بـ(الشداد)، ومن ثمَّ أسند إليها (الأكل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[١٣٦]، فعلى الرغم من أنَّ وصف الزمن بـ(الشدَّة) أو (الشديد) بات إلى الحقيقة أقرب منه إلى المجاز لكثرة ما يوصف به الزمن الصعب، بيدَ أنَّ المراد بـ(السبع الشداد) . هنا . : سنوات القحط والجدْب التي ستأتي على مصر من بعد سبعٍ من سنوات الخصب والرغد، وهو ما جاء على لسان سيدنا يوسف الصدِّيق . عليه السلام . تفسيرا للحلم الذي رآه ملك مصر، وعبَّر عنه الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١٣٧]، لذا يمكن أن يُحمل مثل هذا التعبير على المجاز المرسل، من باب وصف أو تسمية الشيء باسم ما يجري أو يحلُّ فيه، على أنَّ وصف سنوات القحط أو الجدب بـ(الشداد) إنَّما هو وصفٌ لما يجري فيها وليس وصفا لها.

أمّا إسناد(الأكل) إلى هذه السنوات فيعدُّ تجسيما لها أيضا، على سبيل المجاز العقلي، بعلاقته الزمانية، لأنَّ السنين لا تأكلُ شيئا، وإنَّما الآكلون أهلها، لذا قال تعالى:﴿ مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾، ولم يقل تأكل، إذ دعا يوسف . عليه السلام . أهل مصر إلى أن يزرعوا أرضهم﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾، أي: على عادتهم، أو بجدٍّ واجتهاد، وأن يقتصدوا فيها، ويتركوا ما يفضل عن قوتهم في سنبله، يدخروه، حتّى إذا حلّت سنواتُ القحط والجدب وجدوا في مخازنهم ما يسدُّ رمقهم.

وبهذا تكون هذه الصورة التجسيمية قد حققت أغراضها الفنية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في أوانٍ واحد، بوصف سنوات القحط والجدب بـ(الشداد) وإسناد الأكل إليها، وهو ما لا يمكن أن يؤديه أيُّ تعبيرٍ حقيقي، ولاسيَّما ما يوحي به الفعل (تأكل) من دلالات الفناء، كي تحملَ الناس على الجهد والاجتهاد في الزراعة والاقتصاد، بأن لا يأكلوا ممّا يزرعون إلا قليلا، في سنوات الخصب والنماء، ادخارا لسنوات القحط والجدب التي ستحلُّ بهم(١٣٨).

ومن صور التجسيم الفني للزمان غير المحدود (الحين . الدهر . الأجل):

1. تجسيم(الحين): يُراد بـ(الحين): الزمان، قليله وكثيره، أو وقت من الدهر مبهم، يصلح لجميع الأزمان، طالت أم قصرت (١٣٩). وعلى الرغم من أنَّ (الحين) قد ورد في (34) أربعةٍ وثلاثين موضعا في القرآن الكريم، بيدَ أنَّه لم يرد مجسَّما إلا في قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾(١٤٠)، إذ أسند إليه (الإتيان)، على سبيل المجاز العقلي بعلاقته الزمانية، على أنَّ الزمان لا يأتي وإنَّما يُؤتى فيه. وقد عبَّر الكتاب العزيز بـ(الحين) . في هذه الآية . عن بعضٍ أو جزءٍ أو طائفةٍ من الزمان، لأنَّ (مِن) في قوله تعالى:﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ تفيد التبعيض.

أمّا (هل) فقد جاءت بمعنى (قد)، أي أنَّ الاستفهام . الذي استهلت به هذه الآية

أو سورة الإنسان . يُراد به التقرير، وكأنَّ الله عزَّ وجل أراد أن يقول لمن يُنكر عليه قدرته على خلق هذا الكون وإبداعه: ألم يأتِ عليك يا أيُّها الإنسان وقتٌ من الدهر لم تكن شيئا مذكورا أو موجودا، إذ كنت ترابا وطينا قبل أن تُنفخ فيك الروح، فكيف تُنكر إحياءك بعد موتك ؟!. ومثل هذا الاستفهام المجازي . الذي يفيد التحقيق والتقرير . من شأنه أن يستفزَّ العقل الإنساني، ويثير فيه أسئلة كثيرة عن هذا الوجود وعمَّن أوجده أو أبدعه. من هنا نستطيع أن نتبيّن الأغراض التي يمكن أن تحققها هذه الصورة الفنية التجسيمية، إذ يبدو لنا هذا الزمن المغيَّب عن حياتنا، وكأنَّه هيأةٌ محسوسة، تأتي إلينا وتتحرك أمامنا، لتنبِّهَ الإنسان على ضعفه وتذكرَه بنعمة الله تعالى عليه، إذ خلقه من (نطفةٍ أمشاجٍ)، أي: من قليلٍ من المياه المختلطة، ثمَّ جعله (سميعا بصيرا)، بعد أن ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[١٤١].

2. تجسيم (الدهر): أمّا الدهر فقد قيل فيه: هو مدَّة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ودهرُ فلان: مدَّة حياته، فهو . إذن . من الأزمنة غير المحدودة، أيضا[١٤٢].

وقد ورد (الدهر) مجسَّما، إذ أسند إليه (الهلاك)، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[١٤٣]، على لسان الدهرية الذين كانوا يُنكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله عزَّ وجل، ويعتقدون بأنَّ (الدهر) هو السلطة أو القوة الفاعلة التي تُحيي وتميت، بمرور الليالي والأيام، لذا أضافوا إلى الدهر ما يحدث فيه من نوازل وحوادث، بل كانوا يسبُّونه إذا ما نزل بهم ما لا يسرُّهم، كالهرم والموت، وترى أشعارهم تنطق بالشكوى من الزمان. من هنا نهى النبي Z عن ذمِّ الدهر وسبِّه، لأنَّ في ذمِّه ذمًّا للصانع أو الخالق، فالله تعالى هو الذي خلق الدهر، ومن ثمَّ فهو الذي يصرِّفه ويدبِّره[١٤٤] .

وقد عدَّ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) إسناد (الهلاك) إلى (الدهر) إسنادا حقيقيا، على أنَّ الكفار من (الدهرية) يعتقدون بذلك، وإن كان باطلا [١٤٥]، وأنَّ القرآن الكريم حين عبَّر عن هذا الاعتقاد إنَّما عبَّر عنه بلسان حالهم. أمّا المؤمنون الموحِّدون الذين يعتقدون بأنَّ الله عزَّ وجل هو الذي يُحيي ويُميت وإليه ترجع الأمور، فلهم أن يحملوا هذا الإسناد على المجاز، على سبيل التجسيم الفني للدهر.

3. تجسيم(الأجل) : يُراد بـ(الأجل): مدَّة الشيء ووقته الذي يحلُّ فيه. وهو . أيضا . غاية الوقت، أو الوقت المضروب لانقضاء الأمد وغايته، سواءٌ أكان في العمل أم في الدين أو في الموت. لذا يطلق الأجل على المدة المضروبة . في علم الله عزَّ وجل . لحياة الإنسان بانقضاء عمره. والفرق بين الأجل والعمر هو أنَّ الأجل لا يتبدل والعمر قد يتبدل، زيادة أو نقصانا. وأجَّل الشيء: جعل له أجلا، والآجل نقيض العاجل، والآجلة الآخرة والعاجلة الدنيا[١٤٦].

ومن صور التجسيم الفني لـ(الأجل) وصفه بأنَّه (قريب)، في بعض آي الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[١٤٧]. فقد كان المسلمون مكفوفين عن القتال وهم في مكة، أي أنَّهم لم يُؤمروا بقتال الكفار في العهد المكي. وحين كُتب عليهم القتال في العهد المدني خشي فريق منهم الموت في ساحات القتال، فاستعطفوا الله عزّ وجل في أن لا يفرض عليهم القتال حتى تحين آجالهم، إذ قالوا: ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾، أي: هلا أخَّرتنا، ركونا إلى الدنيا وإيثارا لنعيمها، وليس عصيانا، بدلالة

قوله تعالى الذي ختمت به الآية آنفة الذكر:﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾، ومن ثمَّ عقَّب بقوله تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾، تذكيرا لجميع الناس، ولاسيَّما أولئك الذين كرهوا الموت في ساحات القتال، بأنَّ الموت الذين يفرُّون منه آتٍ لا ريب فيه، وأنَّه سيدركهم ولو كانوا ﴿ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾(١٤٨).

إذن، فالمراد بـ(الأجل) . هنا . : الوقت الذي يحين فيه الموت، ووصفه بأنَّه (قريب) يُعدُّ تجسيما له، على أنَّه ليس جسما يدنو أو يقترب، وإنَّما هو زمن، بل زمنٌ غيبي مضروب في علم الله عزّ وجل.

ومنه . أيضا . قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾(١٤٩)، فهذه الآية . التي استهلت باستفهام وختمت باستفهام . تدعو المكذِّبين بآيات الله إلى التفكُّر:﴿ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، وفي كلِّ خلق الله عزَّ وجل، وما في ذلك من دلائل بيِّنات على عظم قدرته وبديع خلقه وعجيب صنعه، قبل أن يدركهم الموت، فليس بعد القرآن من حديث أوضح دلالةً وأظهر حجة على الإيمان بالله تعالى وتوحيده(١٥٠) .

وتجسيم(الأجل) . هنا . ، بإسناد القرب إليه، من شأنه أن يردع هؤلاء المكذبين، عسى أن يرعووا عن كفرهم وطغيانهم، ويؤمنوا بالله ورسوله وبما أنزل على رسوله من آي الذكر الحكيم، أو أن يحملهم على أن يتزوَّدوا من دنياهم بما يفيدهم في الحياة الأخرى، فيحتاطوا لدينهم وأنفسهم مما يصيرون إليه بعد الموت، إذ يبدو لهم (الأجل) وكأنَّه جسمٌ مخيف يدنو منهم ليؤذن بهلاكهم، وهو ما يرعبهم أكثر فأكثر

كلما تقادم العهد عليهم. فضلا عن أنَّ في استعمال عبارة ((أن يكون)) . في هذا السياق . :﴿ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ ما يوحي بأنَّ (أجلهم)، أو وقتَ موتهم قد بات قريبا منهم، أو أنَّه قد دنا منهم إلى الحد الذي يمكن أن يفجأهم في أيَّة لحظة. أمّا (عسى)، فعلى الرغم من أنَّها تحتمل الرجاء، أو أنَّها تفيد احتمال وقوع الشيء، فإنَّها تخرج من معنى الشك أو الاحتمال إلى معنى اليقين، حين تقترن بالله عزَّ وجل، كقوله تعالى:﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾(١٥١). وهكذا تبقى نفوس هؤلاء قلقة، غير مطمئنة، تترقب أجلها بخوف وحذر شديدين، على أنَّ هذا (الأجل) أو الزمن ليس كبقية الآجال والأزمان، فعلى الرغم من أنَّ جميع الناس يشتركون بهذا القدر، فإنَّهم يفترقون فيما يجري لهم بعد الموت، إذ ينتظر الكافرون حسابهم وعقابهم، في حين ينتظر المؤمنون أجرهم وثوابهم(١٥٢).

وإذا كان بعض المسلمين قد تمنَّوا أن يؤخِّر الله . عزَّ وجل . آجالهم، ركونا إلى الدنيا وإيثارا لنعيمها، فإنَّ الظالمين يتمنَّونَ أن يؤخِّر اللهُ . عزّ وجل . عنهم عذاب يوم القيامة، وأن يرجعهم إلى الدنيا، لأجلٍ أو زمنٍ قليل، كي يجيبوا دعوته ويدركوا ما فاتهم من الإيمان برسله. وقد عبَّر الكتاب العزيز عن هذا الموقف بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾(١٥٣)، فقد وُصف (الأجل) بأنَّه (قريب)، على سبيل التجسيم . أيضا . ، كي يصوِّر لنا إحساس هؤلاء الظالمين بالندم على ما فاتهم والخوف ممّا يأتيهم.

أمّا الاستفهام التوبيخي :﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ فقد جاء ليزيد من خيبة أمل هؤلاء الظالمين، إذ كانوا يعتقدون، جهلا وغرورا، بأنَّهم

مقيمون في هذه الدنيا، بل إنَّ جهلهم وغرورهم قد حالا بينهم وبين أن يعتبروا بما حلَّ بالذين ظلموا أنفسهم من قبل، على الرغم من أنَّهم سكنوا في مساكنهم: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾(١٥٤). فضلا عن أنَّ تجسيم (العذاب)، بإسناد (الإتيان) إليه من شأنه أن يبثَّ الرعب في نفوس هؤلاء الظالمين، ويزيد من هول الموقف الذي ينتظرهم، على أنَّ العذاب لا يأتي إليهم وإنَّما يؤخذون به في ذلك اليوم المشهود.

أمّا أسلوب (الالتفات) من الخطاب إلى التكلم فقد جاء ليزيد من وقع هذه الصورة وشدَّة تأثيرها، إذ عبَّر عمّا يختلج في نفوس الظالمين من إحساسٍ مرير بالندم والخوف، وكأنَّهم في الآخرة، وقد انطوت الدنيا وما فيها، شاخصين، يُطلبون للحساب، ليساقوا إلى عذاب جهنَّم، وهم يقولون:﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(١٥٥).

وعلى هذا يُحمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١٥٦)، فليس ثمةَ صورةٌ أرهبُ من رؤية الموت إذ يأتي طالبا من حان أجله. و(من) . هنا . تفيد التبعيض، أي أنفقوا بعض ما رزقكم الله عزَّ وجل، من قبل أن ينزل على أحدكم سلطان الموت فيضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول، فيتحسّر على المنع، ويعضُّ أنامله على فَقد ما كان متمكنا منه، على أنَّ بعد الموت لا تقبل توبةٌ ولا ينفع عمل(١٥٧).

ويرى الطبرْسي(ت548هـ): أنَّ في هذه الآية من الزجر عن التفريط في حقوق الله ما ليس في غيرها من آي الذكر الحكيم (١٥٨). وفي هذا حثٌّ على الإنفاق في

سبيل الله عزَّ وجل . ولعلَّ ما يؤكد ندم هؤلاء المانعين وتمنِّيهم أن يرجعهم الله عزَّ وجل زمنا قليلا، كي يتصدَّقوا ويعملوا صالحا، هو أنَّ الكتاب العزيز قد عبَّر . بلسان حالهم . عن تأخير (الأجل) بأسلوب التحضيض، إذ استعمل (لولا) التي تفيد العرض والتحضيض والتمنِّي والطلب الحثيث، فضلا عمّا توحي به من الإحساس بالندم. ثمَّ يأتي الفعل . بعد (لولا) . ماضيا، ليزيد من قوة هذا الإحساس، وكأنَّ الدعوة إلى تأخير الأجل قد تحققت لهم. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾(١٥٩)، مع أنَّه لم يأتِ بعد، بيدَ أنَّه ورد بصيغة الماضي على أنَّه آتٍ لا ريبَ فيه. ومع هذا فقد جاء الردُّ مخيِّبا لآمال هؤلاء المانعين ومحبطا لأمانيهم، إذ ختم الله عزَّ وجل هذه السورة (المنافقون) بقوله تعالى:﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٦٠)،إذ أسند إليه المجيء، على أنَّ عُمْر الإنسان ديْنٌ، ولابدَّ من أن يَرِدَّ هذا الديْن حين يحلُّ أجلُ أو زمنُ الوفاء به. وفي هذا تجسيمٌ لـ(الأجل) . أيضا .، إذ أسند إليه المجيء. ومنه قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١٦١)، أي أنَّ لكلِّ جماعة أو أهل عصر زمنا أو وقتا محدَّدا، فإذا حلَّ أجلُهم فإنَّهم لا يتأخرون (ساعة) عنه، ولا يتقدمون (ساعة) عليه. وفي هذا إنذارٌ ووعيدٌ لجميع الأمم، بأنَّ هذا الوقت قريب، بدليل استعمال لفظة (الساعة) التي يكثر استعمالها للتعبير عن أقصر وقت وأقربه، كأن يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة، وهو لا يريد بذلك (الساعة) بمعناها الزمني المحدَّد المعروف، وإنَّما يريد: أقصر الأوقات وأقربها. والمراد بمجيء الأجل . هنا .: اقترابه، مثلما يقال: جاء الصيف إذا اقترب وقته(١٦٢) .

وهنا يبدو (الأجل) مصيدةً، ليس لأحدٍ أن يُفلت منها، بل ليس بمقدور أحدٍ أن يخرج عن هذا الطوق الذي ضرب على جميع الخلق، أو أن يتجاوزه خطوة واحدة إلى الأمام أو الوراء:﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. من هنا فقد جرى هذا التعبير

مجرى المثل، لكلِّ ما لا يمكن تجاوزه أو التخلص منه.

الخاتمة

إذا كان لكلِّ مفهوم من المفاهيم الفنية أو الأدبية أو العلمية معنيان، أحدهما لغوي والآخر اصطلاحي، فإنَّ للتجسيم معنى ثالثا، يتمثل في المعنى الفكري الذي قام على بعض التصورات الخاطئة في وصف الباري عزَّ وجل، إذ اعتقدت بعض الفرق المنقرضة، ومنها: المشبِّهة أو المجسِّمة بأنَّ لله تعالى يدا ووجها وعينا، إلى غير ذلك من جوارح أخر، أو أنَّ له جسما محدودا يمكن أن يستوي أو يجلس في مكان ما، بعد أن ابتعدوا عن الواقع اللغوي الذي ينتمي إليه النصُّ القرآني في تفسيرهم لبعض آي الذكر الحكيم، ومنها قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١٦٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[١٦٤] وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[١٦٥] وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١٦٦]، ذلك بأنَّ التعبير القرآني قد جاء

على وفق الأساليب العربية المعروفة عند العرب وقت المبعث، لذا إنَّ الذين ابتعدوا عن المعنى الحقيقي لهذا التعبير ولم يدركوا جماله هم أولئك الذين لم يكن لهم حظٌّ وافرٌ من العربية الصحيحة، ومعرفة أساليبها وطرق تعبيرها، ولاسيّما الأوجه البيانية، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، ذلك بأنَّ الإعجاز البياني يعدُّ الوجه الأول من وجوه الإعجاز القرآني.

وكان علماء العربية . كابن جنِّي وعبد القاهر الجرجاني والراغب الأصبهاني . قد فطنوا إلى المعنى الفني للتجسيم في أثناء حديثهم على أساليب الأداء البياني، وإن لم يشيروا إليه صراحة، مثلما هي حال كثير من المصطلحات النقدية والبلاغية التي لم تنضج وتستقر إلا في زمن متأخر على بداية النقد المنهجي عند العرب، مع مطلع القرن الثالث الهجري.

أمّا التجسيم، أسلوبا من أساليب التصوير الفني في التعبير القرآني، فعلى الرغم من أنَّه أطلَّ علينا بثلاثة أوجه: عقلي ونفسي وزماني، بيدَ أنَّ الوجه الزماني كان أكثر هذه الوجوه حضورا وأوفرها حظا، لما للزمان من أثر كبير في حياة الإنسان، ولشدة وطأته عليه، فضلا عن أنَّ العقل العربي . ولاسيّما وقت المبعث . يحتفظ بصورة مرعبة عن الزمان وما يمكن أن يُحدثه فيه، حتّى أنَّ بعض الناس . كالدهرية . نسبوا إليه ما يحدث فيه من نوازل وأحداث، بل اعتقدوا بأنَّ الدهر هو الذي يُحيي ويُميت، بمرور الليالي والأيام.....، لذا جاءت معظم الصور التجسيمية التي وردت في الكتاب العزيز لتجسِّم ما يدلُّ على الزمان من ألفاظ، مثل: الساعة، واليوم، والشهر، والسنة، والحين، والدهر، أو الليل والنهار، إلى غير ذلك من ألفاظ الزمان التي أختصَّ كلٌّ منها بمعنى معين، وإن بدا أنَّ بعض هذه الألفاظ ذات معانٍ مترادفة أو متقاربة، أي أنَّ لفظتي (الزمان والزمن) لم تردا في النصُّ القرآني، وإنّما عبر عنهما بما يدلُّ عليهما من الألفاظ آنفة الذكر.

ولعلَّ من اللافت للنظر أنَّ الكتاب العزيز قد جسم من المعاني العقلية بمقدار

ما جسم من المعاني النفسية، إذ جسّم: الشك والفتنة والكيد واليقين والحق والهدى تجسيما عقليا، في حين جسّم: الرعب والصبر والسكينة والذلة والمسكنة والوزر تجسيما نفسيا، وأنَّ أغلب هذه الصور التجسيمية العقلية والنفسية قد جاءت لتحذر اليهود والمنافقين والمكذبين بآيات الله عزَّوجل من عذاب يومٍ ثقيل، وأنَّ عليهم أن يتدبُّروا هذه الآيات ويتأملوا فيها ويعتبروا بها، كي لا يحلَّ بهم ما حلَّ بمن كذبوا من قبل.

وجاءت الصور التجسيمية التي تقوم على تجسيم (الساعة) و(اليوم) لتعرض لنا مشاهد الهول، في أثناء البعث والحشر والحساب، إذ أريد بهما: اليوم الآخر. لذا لم يستعمل الكتاب العزيز (الفجأة) مع قيام الساعة، وإنَّما استعمل (البغتة)، لأنَّ الفجأة قد تحمل معها السعادة، في حين لا تحمل البغتة إلا الخوف والألم. وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ لفظة (الساعة) قد وردت في القرآن الكريم في ثمانية وأربعين موضعا، فجاءت معرَّفة بـ(الألف واللام) في أربعين موضعا، إذ قُصدَ بها (ساعة الآخرة)، أو(يوم القيامة)، في حين جاءت نكرةً في ثمانية مواضع، لتدلَّ على جزء من الزمان، سواءٌ أكان هذا الزمان محدودا أم غير محدود. أما (اليوم الآخر) فقد وصف بأنَّه: ثقيل وكبير ومحيط، على سبيل التجسيم، لعظم ما يجري فيه من أحداث وشدّة ما يقع على الكافرين من عذاب. وكذلك حال (اليوم) . بمعناه الزمني المحدود . ، إذ وصف بالعاصف تارة والعصيب تارة أخرى، وهو وصفٌ لم يرد في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾، وذلك لبيان شدَّة الحرج والألم والهمِّ الذي كان يشعر به لوط . عليه السلام . في ذلك اليوم، خوفا من أن يُخزيَه قومه في أضيافه.

ومثل هذا يمكن أن يقال في الأشهر والسنين، إذ وصفها الكتاب العزيز بصفة ما يجري فيها، في صور بيانية، لها دلالاتها الفنية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية

الموحية والمؤثرة، مثلما جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴾، ذلك بأنَّ وصف سنوات القحط والجدب بـ(الشداد) وإسناد الأكل إليها لا يمكن أن يؤديه أيُّ تعبيرٍ حقيقي، ولاسيَّما ما يوحي به الفعل (تأكل) من دلالات الفناء، كي تحملَ الناس على الجهد والاجتهاد في الزراعة والاقتصاد، بأن لا يأكلوا ممّا يزرعون إلا قليلا، في سنوات الخصب والنماء، ادخارا لسنوات القحط والجدب التي ستحلُّ بهم.

ولعلَّ أبرز ما في تجسيم (الليل والنهار) تصويرهما على أنَّهما يمثلان ظاهرة من الظواهر الطبيعية المحسوسة التي تدلُّ على قدرة الله الواحد الأحد على خلق الكون، على وفق هذا النظام الدقيق المعجز الذي يدعو ذوي العقول إلى التدبُّر فيه والتأمل في ظواهره. ومن اللافت للنظر . أيضا . أنَّ الكتاب العزيز قدَّم الليل على النهار في جميع الآيات التي اقترن فيها ذكر الليل بالنهار.

أمّا الصور التجسيمية للزمان غير المحدود، مثل: الحين والدهر والأجل، فقد جاءت لتستفزَّ العقل الإنساني وتثير فيه أسئلة كثيرة عن هذا الوجود وعمَّن أوجده أو أبدعه، وتذكر الناس بآجالهم التي يفرُّون منها إليها، كي يُقدِّموا في دنياهم ما ينفعهم في آخرتهم.

وبعد، فإنَّ أغلب هذه الصور التجسيمية كانت صورا حسيَّة، تتناسب وطبيعة البيئة العربية والمتلقي العربي وقت المبعث، كي تحقق أغراضها الفنية والدينية في أوان واحد، على أنَّ التعبير القرآني تعبير فنيٌّ مقصود يُراد به التأثير في متلقيه، فتلك نتيجة علمية لا نملُّ من تكرارها، عسى أن ينتفع بها أولئك الذين مازالوا يُنطقون النص القرآني بما هم فيه، ويُخضعونه إلىُ قوانين ليست له، فيُوقعون أنفسهم . ومن يتأثر بهم . بالوهم، مثلما توهّم المجسِّمة من قبل.

هوامش البحث

(١) أنظر: لسان العرب، والقاموس المحيط، مادة (جسم).

(٢) الفتح: 10.

(٣) الإنسان: 9.

(٤) القمر: 14.

(٥) طه: 5.

(٦) أنظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيّد قطب: 63.

(٧) الأنبياء: 18.

(٨) الأنبياء: 75.

(٩) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار: 443/3، 444.

(١٠) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ.ريتر: 41.

(١١) النحل: 112.

(١٢) المفردات، الراغب الأصبهاني، مادة (لبس).

(١٣) أنظر: التصوير الفني في القرآن: 63.

(١٤) الدخان: 9.

(١٥) الأنعام: 91.

(١٦) الطور: 11، 12.

(١٧) أنظر: لسان العرب، مادة (خوض).

(١٨) أنظر: النكت في إعجاز القرآن، الرمّاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام: 84، ونهاية الإعجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق وتقديم: د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي: 133، ومفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تصحيح: أحمد اسعد علي: 184، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: 443/3، والإتقان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم: 137/3.

(١٩) التوبة: 49.

(٢٠) أنظر: مجمع البيان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: 37/5.
(٢١) الذاريات: 14.
(٢٢) أنظر: المفردات، مادة (فتن).
(٢٣) طه: 60.
(٢٤) طه: 64.
(٢٥) أنظر: لسان العرب، مادة (كيد).
(٢٦) المفردات، مادة (كيد).
(٢٧) أنظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: 3/13.
(٢٨) الأعراف: 182، 183.
(٢٩) أنظر: مجمع البيان: 504/4.
(٣٠) الزخرف: 79.
(٣١) أنظر: المفردات، مادة (برم).
(٣٢) المدثر: 46، 47.
(٣٣) ق: 5.
(٣٤) النجم: 23.
(٣٥) أنظر: مجمع البيان: 177/10.
(٣٦) الأحزاب: 26.
(٣٧) أنظر: مجمع البيان: 351/8.
(٣٨) أنظر: المفردات، مادة (قذف).
(٣٩) أنظر: المصدر نفسه، مادة (رعب).
(٤٠) البقرة: 250.
(٤١) أنظر: المفردات، مادة (فرغ).
(٤٢) التوبة: 26.
(٤٣) أنظر: مجمع البيان: 17/5، ولسان العرب، مادة (سكن).
(٤٤) البقرة: 61.
(٤٥) أنظر: الكشاف: 145/1، 146، 402.
(٤٦) أنظر: المفردات، مادة (وزر).

(٤٧) الشرح: 3.1.

(٤٨) مجمع البيان: 508/10.

(٤٩) أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: 61/1.

(٥٠) الأنعام: 31.

(٥١) أنظر: مجمع البيان: 292/4.

(٥٢) أنظر: دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني: 149، 150.

(٥٣) لسان العرب، مادة (زمن).

(٥٤) أنظر: فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري، تحقيق: د. محمد رضوان الداية:127

(٥٥) أنظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة (زمن).

(٥٦) الإنسان: 27.

(٥٧) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (سوع)

(٥٨) التوبة:117

(٥٩) أنظر: مجمع البيان: 80.78/5، ويوم الدين والحساب، شكري محمد عياد: 33، والإبداع البياني في القرآن العظيم، محمد علي الصابوني:121.

(٦٠) أنظر: الأنعام:31، ويوسف:107، والحج:255، والزخرف:66، ومحمد:18.

(٦١) الكشّاف:134/2، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد محمد الحوفي، ود.بدوي طبانة:51/4.

(٦٢) أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم:132/1.

(٦٣) الأنعام:31

(٦٤) الأعراف:187، والنازعات:46.42.

(٦٥) أنظر: المفردات، مادتي (أيّان)، و(رسا)، ولسان العرب، مادة (رسا).

(٦٦) الأعراف:178.

(٦٧) أنظر: الكشاف:134/2، والتفسير البياني للقرآن الكريم:133/1.

(٦٨) النازعات:44.42.

(٦٩) طه:15.

(٧٠) أنظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري: 151/16، ومجمع البيان:6/7

(٧١) التكوير:6.1، والحج:2.

(٧٢) الحج:1.

(٧٣) لسان العرب، مادة (زلل).

(٧٤) المزمل:17.

(٧٥) أنظر: بيان إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام:257، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام:262، والبرهان:257/2، والإتقان:110/3.

(٧٦) الشورى:17، وأنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم:135/1.

(٧٧) أنظر: لسان العرب، مادة (قرب).

(٧٨) أنظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي:167

(٧٩) آل عمران: 27.

(٨٠) أنظر: المفردات، مادة (ولج).

(٨١) الأعراف: 40.

(٨٢) أنظر: الإبداع البياني في القرآن العظيم:100

(٨٣) أنظر: الإتقان: 15/2.

(٨٤) النور: 44.

(٨٥) أنظر: المفردات، مادة (قلب).

(٨٦) يس: 37.

(٨٧) أنظر: لسان العرب، مادة (سلخ).

(٨٨) أنظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم: 279، وأصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير: 119، 120.

(٨٩) الفرقان: 47.

(٩٠) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (لبس) و(سبت)، و(نشر).

(٩١) أنظر: جامع البيان: 20/19، 21.

(٩٢) الزمر:5

(٩٣) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (كور)

(٩٤) الكشاف:112/4

(٩٥) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي420/6

(٩٦) أنظر: التصوير الفني في القرآن:63

(٩٧) يونس:27

(٩٨) أنظر: مجمع البيان:104/5

(٩٩) أنظر: التحرير والتنوير:148/1

(١٠٠) أنظر: التصوير الفني في القرآن:71

(١٠١) آل عمران:72

(١٠٢) الرحمن:27

(١٠٣) القصص:88

(١٠٤) الإنسان:9

(١٠٥) أنظر: ديوان الحماسة، لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي، برواية: أبي منصور الجواليقي، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد صالح:284، و المفردات، واللسان، مادة (وجه).

(١٠٦) أنظر: الكشاف:373/1، ومجمع البيان:460/2.

(١٠٧) إبراهيم :5.

(١٠٨) آل عمران:155.

(١٠٩) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (يوم).

(١١٠) المائدة:3.

(١١١) أنظر: الكشاف:604/1، 605، ومجمع البيان:158/3، 159.

(١١٢) الإنسان:27.

(١١٣) أنظر: الكشاف:675/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي:135/19.

(١١٤) هود:3.

(١١٥) هود:84.

(١١٦) أنظر: الكشاف، ومجمع البيان:142/5، 187، والتحرير والتنوير:137/12.

(١١٧) أنظر: مجمع البيان:183/5.

(١١٨) هود:77.

(١١٩) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (عصب).

(١٢٠) أنظر: جامع البيان:12/83،82، ومجمع البيان: 5/183.

(١٢١) إبراهيم:18.

(١٢٢) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (عصف).

(١٢٣) التوبة:19.

(١٢٤) أنظر: مجمع البيان:5/14، 15.

(١٢٥) أنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: 1/160، والتشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الأطرقجي: 245، 246. وقد كان عام الرمادة في سنة(18هـ).

(١٢٦) أنظر: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق: محمد علي النجار: 2/73، 74، ومجمع البيان:6/309، و من بلاغة القرآن: 202، 203، ومجاز القرآن، د.محمد حسين الصغير:99، والإبداع البياني في القرآن العظيم:164.

(١٢٧) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (شهر).

(١٢٨) البقرة:194.

(١٢٩) أنظر: كتاب الصناعتين:413

(١٣٠) أنظر: الكشاف:1/237، ومجمع البيان:2/287، 288.

(١٣١) يس:37، وانظر: ص: 17،18 من هذا البحث.

(١٣٢) التوبة:5

(١٣٣) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (سلخ).

(١٣٤) أنظر: جامع البيان:10/78، ومجمع البيان: 5/6، 7، والتفسير الكبير: 15/224، 225، ومفتاح العلوم: 176، والتحرير والتنوير: 10/114، 115، والإبداع البياني في القرآن العظيم:112

(١٣٥) أنظر: فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات: 148، ولسان العرب، مادة (حول) و(سنا) و(عوم).

(١٣٦) يوسف:47، 48

(١٣٧) يوسف:46

(١٣٨) أنظر: جامع البيان:78/10، ومجمع البيان:238/5، والتحرير والتنوير:114/10، 115، وقصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار: 184، والإبداع البياني في القرآن العظيم:146

(١٣٩) أنظر: لسان العرب، مادة (حين).

(١٤٠) الإنسان:1.

(١٤١) أنظر: مجمع البيان:406/10، والمفردات، ولسان العرب، مادة (مشج) و(نطف).

(١٤٢) أنظر: المفردات، ولسان العرب، مادة (دهر).

(١٤٣) الجاثية:24

(١٤٤) أنظر: الكشاف:291/4، ومجمع البيان:78/9، والزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د. عبد الإله الصائغ:170.

(١٤٥) أنظر: أسرار البلاغة:355

(١٤٦) أنظر: المفردات، مادة (أجل) ، وفروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات:33،34 ولسان العرب، مادة (أجل).

(١٤٧) النساء:77.

(١٤٨) أنظر: جامع البيان:170/5، ومجمع البيان:77/3، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي:86/5،87.

(١٤٩) الأعراف:185.

(١٥٠) أنظر: مجمع البيان:405/4، 505.

(١٥١) النساء:84

(١٥٢) أنظر: جامع البيان: 136/9، والكشاف: 33/2، والتحرير والتنوير: 197/8، وفي ظلال القرآن، سيد قطب:123/9.

(١٥٣) إبراهيم:44

(١٥٤) إبراهيم: 45، وانظر: جامع البيان: 241/13، ومجمع البيان: 321/6، والتفسير الكبير:143/19، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:522/1، والميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي:85/13، وفي ظلال القرآن:176/13.

(١٥٥) أنظر: في ظلال القرآن:176/13

(١٥٦) المنافقون:10

(١٥٧) أنظر: الكشاف:544/1.

(١٥٨) أنظر: مجمع البيان:296/10.

(١٥٩) النحل:1

(١٦٠) المنافقون:11

(١٦١) الأعراف:34.

(١٦٢) أنظر: الكشاف: ومجمع البيان:414/4، 415، والتحرير والتنوير:105/8

(١٦٣) الفتح: 10.

(١٦٤) الإنسان: 9.

(١٦٥) القمر: 14.

(١٦٦) طه: 5.

مكتبة البحث

- الإبداع البياني قي القرآن العظيم، الشيخ محمد علي الصابوني، المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ . 2006م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1407هـ . 1987 .
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، تحقيق: هـ.ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول،1954.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام(660هـ)، مطابع دار الفكر، دمشق (د.ت).
- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، 1420هـ . 1999م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1376هـ . 1957م.
- بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي(338هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر(د.ت).
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.

- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الأطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق،1978م.
- التصوير الفني في القرآن، سيِّد قطب، دار المعارف، مصر، 1956م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، ط2، 1966م.
- التفسير الكبير، الفخر الرازي(606هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط 2، (د.ت).
- جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(310هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت 671هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1967م.

- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (395هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،1952م.
- دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط1، 1421هـ.
- ديوان الحماسة، لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي(231هـ)، برواية: أبي منصور الجواليقي(540هـ)، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للطباعة، العراق، 1980م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيِّد محمود الآلوسي(1270هـ)، دار الفكر، بيروت، 1398هـ . 1978م.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د. عبد الإله الصائغ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981م.
- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري(1158هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، ط3، 1415هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 5، 1386هـ . 1967م.
- القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (817هـ)، مؤسسة البابي الحلبي وشركائه، مصر،1952م.
- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق . بيروت، ط4، 1422هـ . 2002م.
- كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري (395هـ) تحقيق:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه(د.ت).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري(538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت(د.ت).

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(711هـ)، دار صادر، بيروت(د.ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(637هـ)، تحقيق:أحمد محمد الحوفي و د. بدوي طبانة، مطبعة الرسالة، مصر(د.ت).
- مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1420،1هـ .1999م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(548هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1379هـ.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء(207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1955م.
- مفتاح العلوم،لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي(626هـ)، تصحيح: أحمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 1، 1937م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني(502هـ)، أعدّه للنشر وأشرف على الطبع: محمد خلف الله، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة،1970م.
- مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس(395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر،1399هـ .1979م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر،(د.ت).
- الميزان في تفسير القرآن، السيِّد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 1396هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت885هـ)، خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ .2003م.

❖ النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسين علي بن عيسى الرماني(386هـ)،(ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة(د.ت).
❖ نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(733هـ)، دار الكتب المصرية(د.ت).
❖ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي(606هـ)، تحقيق وتقديم: د.إبراهيم السامرائي و د.محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1985م.
❖ يوم الدين والحساب، شكري محمد عيّاد، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت،1984م.

Abstract

This paper is entitled "*Embodiment in the Quranic Expression*". It aims at unfolding the rhetorical embodiment images in the Holy Book of Quran, investigating them, and questioning them for their elements of beauty and their own purposes. Embodiment, in its artistic sense, is the attribution of sensuous qualities to abstract and mental realizations and to the psychical states as if they were concrete and material bodies.

Although the Quranic embodiment has three types, viz, mental, psychical, and temporal, only does the last record the prominent presence and frequency among them.

Most significantly, the study has found out that many of the artistic Quranic images have been based on embodiment in an artistic style of imagery of the Quranic expression, especially those images of temporal embodiment. Most of such images are sensuous and visual that best suit the Arabian environment and the Arabs as recipients at the time of revelation, in order to achieve their artistic and religious purposes. The Quranic expression is an intended artistic expression that aims at affecting the recipient. It, moreover, was revealed in

accordance with the Arabic styles that were common among Arabs at the time of revelation. Therefore, those who did not apprehend the intended meaning of Quranic text and did not realize its aesthetic aspects were among those who did not have enough knowledge of Arabic, its expressions, and its rhetorical facets such as simile, metaphor, pun, etc. For the rhetorical miracle of is the first Quranic miracle.